

مواقف المرجعية الدينية العليا

في النجف الأشرف في مواجهة احتلالين

⚠️ الأبحاث والمقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة ، بل تعبر عن رأي أصحابها

■ خلاصة المقال:

احتلت بريطانيا العراق سنة ١٩١٤ م وتصدت المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف بجهادهم وقاتلوهم الى جانب العثمانيين وتصدت ايضا واجازت للشعب العراقي سنة ١٩٢٠ م ان يستعمل القوة ان امتنعوا من اعطاء حق العراقيين بالاستقلال. واحتل الامريكان ومعهم الإنجليز وغيرهم العراق سنة ٢٠٠٣م ولكن المرجعية الشيعية في النجف الأشرف هذه المرة لم تُثبّت بالجهاد او استعمال القوة بل اتخذت نهج المقاومة السلمية والسياسية لمواجهة الاحتلال وتحقيق الاهداف المرجوة. هل السر في تغير الموقف يكمن في طبيعة شخص المرجع او في طبيعة الظرف؟ كان هذا مدخل لدراسة مقارنة بين خلفية الاحتلالين، وموقف المرجعية الدينية العليا في النجف منهما، ثم النتائج التي انتهى اليها الموقف، ومسار المرجعية الدينية بعد وضوح النتائج. مسائل خمس شكلت هيكل الدراسة.

الإحتلال الإنجليزي للعراق سنة ١٩١٤-١٩١٧م

دخلت القوات الانجليزية الفوا في ١١/٦/١٩١٤م واحتلته ثم في ٢٣/١١/١٩١٤م احتلت القرنة. واحتلت بغداد في ١١/٣/١٩١٧م.

وكانت هذه جزءا من قوات الحلفاء في الحرب العالمية الاولى بقيادة الجنرال الانجليزي ادموند هنري هانمان اللبني (Edmond Henry Hynman Allenby) (١٨٦١-١٩٣٦) له ام ارتباط بالكنيسة الانجيلية الشرقية والذي كان على راس جيش الحلفاء (بريطانيا فرنسا الامبراطورية الروسية) في الشرق الاوسط في قبال دول المحور (الامبراطورية الالمانية والامبراطورية النمساوية المجرية والدولة العثمانية والمجر) وحين دخل القدس راجلا احترامام سنة ١٩١٧م قال (الان انتهت الحروب الصليبية). وقال الجنرال الفرنسي غورو بعد احتلاله دمشق في ٨/ ذق ١٣٣٨هـ (١٩٢٠/٧/٢٣) لما زار قبر صلاح الدين ركله برجله قائلا (نحن عدنا يا صلاح الدين).

وقسمت البلاد الاسلامية التي كانت تابعة للدولة العثمانية بين انجلترا وفرنسا، من خلال مؤتمر سايكس بيكو سنة ١٩١٦م.

فتوى الجهاد ضد الغزو الإنجليزي في العراق وفتوى التوسل بالقوة ضد الاحتلال بقيادة المرجعية الدينية الشيعية تبنت المرجعية الدينية العليا (السيد كاظم اليزدي ؑ) في ٢٩/١١/١٩١٣م الجهاد ضد بريطانيا الصليبية. وفي ٣٠/١٢/١٩١٨م اصدرت الادارة البريطانية على لسان نائب الحاكم المدني العام في العراق استفتاء حول اقامة دولة عربية بإشراف بريطاني فاصدر المرجع الديني الميرزا محمد تقى الشيرازي ؑ ٢٢/١٢/١٩١٩م فتوى (ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب ويختار غير المسلمين للإمارة والسلطنة على المسلمين) وكانت اول تحرك له.

وارسل الشيخ محمد تقى الشيرازي ؑ والشيخ شيخ الشريعة ؑ برقية مشتركة أثناء انعقاد مؤتمر باريس الى الرئيس الامريكي ويلسن (١٨٥٦-١٩٢٤م) وكان قد اعلن ما عرف بالنقاط الاربعة عشرة او (مبادئ ويلسن) التي تضمنت حق تقرير المصير للشعوب المحكومة جاء فيها (لحصرة رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية المحترم ابتهجت الشعوب الاسلامية جميعها من منح الامم المظلومة حقوقها وافساح المجال لاستمتاعها بالاستقلال حسب الشروط المذاعة من قبلهم، رغبة العراقيين بما انهم ملة مسلمة ان تكون حرية قانونية واختيار دولة جديدة عربية مستقلة اسلامية وملك مسلم مقيد بمجلس وطني ويكون لكم الذكر الخالد في تاريخ بحرية العراق ومدينته الحديثة).

ثم حرم في ٢٠/٣/١٩٢٠م العمل مع ادارة الاحتلال.

وفي ٣/رجب/١٣٣٨هـ ٢٢/آذار/١٩٢٠م بعث رسالة الى جعفر ابو التمن (سرنا اتحاد كلمة الامة البغدادية نوصيكم ان تراعدوا في اجتماعكم قواعد الدين الحنيف وان تحفظوا حقوق مواطنيكم الكتائبين الداخلين في ذمة الاسلام وان تستمروا على رعاية الاجانب الغرباء) وفي ٤ رجب ١٣٣٨هـ (١٩٢٠/٣) بعث رسالة الى الشيخ احمد الداود احد

علماء السنة في بغداد (يسرني ان ارى مثلك في راس قادة المسلمين وليكن رائدك في عمل الخير وهو الاجدر بك وببي وبمن جرى مجرانا من خدام الدين ان جميع المسلمين اخوان تجمعهم كلمة الاسلام وراية القرآن الكريم والنبي الاكرم ﷺ وصحبه).

توفي السيد محمد كاظم اليزدي ؑ في ٣٠/٠٤/١٩٢٠م (٢٨ رجب ١٣٣٧هـ) وتولى الشيخ محمد تقى الشيرازي ؑ المرجعية العامة من بعده.

وفي ٩/٥/١٩٢٠م (١٠رمضان ١٣٣٨ هـ) كتب (ان اخوانكم في بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها من انحاء العراق قد اتفقوا على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية طالبين حقوقهم المشروعة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة اسلامية).

تقرر في مؤتمر سان ريمو المنعقد في نيسان ١٩٢٠م وضع العراق تحت الانتداب البريطاني واعلنت بريطانيا صك الانتداب في ٢٥/٦/١٩٢٠م. الجمعة، ٨ شوال ١٣٣٨هـ. فكتب بيانا جاء فيه (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في مطالبتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع البريطانيون من قبول مطالبهم).

في اوائل اب /١٩٢٠م كان المندوب الانجليزي المدني قد ابلغ وزارة الهند انه (ثمة حالة حرب في جميع انحاء ما بين النهرين)، و اضاف التقرير (وكان المسلمون يتحدون ويتصورون في كل مكان ويطردون الكفار من العراق وكان الالتحاق بالثورة المجيدة واجبا دينيا).

توفي الشيخ محمد تقى الشيرازي ؑ في ١٧/٨/١٩٢٠م وكانت مدة قيادته للاحداث سنة ونصف تقريبا من (٢٢/٢/١٩١٩-١٩٢٠/١٧) وكان قد هاجر من سامراء واتخذ كربلاء مقرا له.

وتحولت قيادة الثورة الى الشيخ الشريعة ؑ خلفا للشيرازي ؑ. في النجف الذي اكد ان فتوى الشيرازي بقتال المشركين باقية وحهم على الجهاد لأخذ الاستقلال.

■ **خطب ويلسون:** في اربيل ٨/٩/١٩٢٠م في الاكراد يشدد على الانتداب (ان الحكومة البريطانية سوف لن تتخلى عن الانتداب في العراق ارجو ان لا تسمحوا لرجال قبائلكم ان يقعوا فريسة لموجة الجنوب التي تأثر بها العرب الشيعة في الفرات الاوسط ومناطق دبالى).

كتبت مضبطة في ١٥/٩/١٩٢٠م (١/١/١٣٣٩هـ) وقعت من قبل ثلاثة وسبعين رئيسا مع شيخ الشريعة. وزعت الى سفارات دول الولايات المتحدة الامريكية، روسيا، فرنسا، هولندا، تركيا، المانيا الموجودة في إيران.

استطاع الانجليز ان يقمعوا التوار اخيرا في ١١/١٠/١٩٢٠م.

توفي شيخ الشريعة ؑ يوم الإثنين ٢٠/١٢/١٩٢٠م (٢٤٨/١٢٣٩هـ بعد قمع التوار بشهر عن ثلاث وسبعين سنة وكانت مدة قيادته للثورة اربعة شهور تقريبا.

لم يشترك العرب السنة في الثورة ما عدى عشيرة زوبع الا انه تم القضاء عليها بسبب عدم مناصرة عشائر المنطقة لهم.

وكان بعده السيد ابو الحسن الاصفهاني ؑ ت ١٩٤٦م والشيخ محمد حسين النائيني ؑ ت ١٩٢٦م (١٣٥٥هـ) في النجف الأشرف.

في ٢٣/٨/١٩٢١م سلمت بريطانيا الحكم للأقلية السنية في العراق ونصبت فيصل بن الشريف حسين ملكا وشكل اول وزارة في عهد عبد الرحمن النقيب.

في ١١/٢/١٩٢٢م هاجم الوهابيون النجديون منطقة سوق الشيوخ وواقعوا فيها خسائر كبيرة في الارواح والممتلكات للضغط على العراقيين بشكل غير مباشر الموافقة على التحالف مع بريطانيا وقد تكرر الهجوم في ٢٦/١٠/١٩٢٤م.

الاعلان عن فكرة معاهدة التحالف مع بريطانيا في ٢٤/٦/١٩٢٢م.

في ٢٩/٨/١٩٢٢م ابرق وزير المستعمرات البريطاني تشرشل المندوب السامي في العراق ان يخير الملك فيصل اما بمساندة رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب في جميع اجراءاته او ان يخلع من العرش ويعود الى الحجاز ورضخ الملك لذلك.

برقية احتجاج المرجعية في النجف الأشرف مع العلماء على المعاهدة واستقالة النقيب من الحكومة. كلف الملك فيصل محسن السعدون بتشكيل الحكومة وجاء قراره بأجراء انتخابات في ٢٠/١١/١٩٢٢م لانتخاب مجلس تأسيسي والتصديق على الدستور وتأييد المعاهدة. (في ١٠/١٠ اجتمع مجلس الوزراء وقرر توقيع المعاهدة وتم تحديد موعد للانتخابات).

تحريم الانتخابات من لدن السيد ابي الحسن الاصفهاني ؑ والشيخ النائيني ؑ ٥/١١/١٩٢٢م (٩/١١). من دخل في الانتخابات او ساعد عليها فهو كمن حارب الله ورسوله واوليائه ؑ الاصفهاني. (حكمتا بحرمة الانتخابات وحرمة الدخول فيها على كافة الامة العراقية.) النائيني. وفي ٣١/٣/١٩٢٣م خففت بريطانيا مدة المعاهدة من عشرين سنة الى أربع سنوات وصدرت فتاوى جديدة في اوائل حزيران تؤكد التحريم.

في ٩ حزيران/١٩٢٣م صمم السعدون على تسفير المرجعية المعارضة والعلماء المعارضين بإصدار تعديل لقانون العقوبات في نفي الاجانب وفي ١٧/٦/١٩٢٣م اقر مجلس الوزراء ذلك.

وفي ٢٥/٦/١٩٢٤م اصدرت الحكومة بيانا تذم فيه مواقف المجتهدين في النجف الأشرف والكاظمية المقدسة. الذين يعرقلون الانتخاب وفي ٢٦/٦/٢٠م القبض على الشيخ مهدي الخالصي واولاده ونفوا الى الحجاز ثم هاجر الشيخ الى ايران.

وفي ١/٧/١٩٢٣م تولى مدير شرطة كربلاء صالح حمام تسفير المراجع والعلماء الذين يحملون الجنسية الابرائية وكانوا تسعة ابرزهم السيد ابو الحسن الاصفهاني والميرزا حسين النائيني ؑ والشيخ جواد الجواهري ؑ والسيد علي الشهرستاني ؑ والسيد مهدي الخرسان ؑ وغيرهم من العلماء نقلوا الى خانقين ومن هناك ذهبوا الى قم وكانت احتجاجات في المدن العراقية وبخاصة الحلة واعتقلت السلطات الشيخ محمد سماعة امام المسجد الكبير في المدينة وكانت في وقتها متصرف لواء الحلة ناجي شوكت.

اجريت انتخابات المجلس في ٢٥/٢/١٩٢٤م، وفي ٢٢/٣/١٩٢٤م في ظل حكومة السعدون وأصدرت الادارة الملكية أمراً بافتتاح المجلس التأسيسي في ٢١شعبان/١٣٣٤هـ (٢٧/٣/١٩٢٤م) و اقر المجلس التأسيسي المعاهدة العراقية البريطانية وفرغ من تصديق القانون الاساسي. اقر الدستور الملكية الدستورية وحكومة برلمانية ومجلسين تشريعيين يتألفان من مجلس نيابي منتخب ومجلس اعيان معين وقد اجريت عشر انتخابات عامة قبل سقوط الملكية عام ١٩٥٨م وشكلت تسعا وخمسين وزارة خلال أربع وثلاثين سنة من عمر الملكية وكانت حصة الشيعة منها خمس مرات.

عقدت معاهدات متوالية بين العراق والمملكة المتحدة عامي ١٩٢٦م، ١٩٢٧م، ١٩٢٩م وفيها اعلنت بريطانيا انها سوف تمنح العراق استقلاله سنة ١٩٣٢م، وفي ٣٠/٦/١٩٢٠م عقدت معاهدة اقرت تأسيس تحالف قوي بين المملكة المتحدة والعراق مع اقرار التشاور التام بين الطرفين في جميع الامور التي تخص السياسة الخارجية والتي قد تؤثر على مصالحهما المشتركة... وتكون نافذة حال دخول العراق الى عصبة الامم في ٣/١٠/١٩٢٣م كدولة مستقلة.

ان الجهاد الذي قاده المرجعية ومواجهة الاحتلال والمطالبة بالحقوق التي استستها المرجعية الدينية واجازت فيه استعمال القوة وثورة العشرين التي قادتها المرجعية العامة ايام الشيخ محمد تقى الشيرازي ؑ وخلفه شيخ الشريعة ؑ وتجاوب القاعدة الشيعية التي شكلت الثقل الشعبي الاكبر للمواجهة والثورة قد فرض على بريطانيا ان تعيد حساباتها في قضيتين: **الاولى:** مدة الانتداب ومنح الاستقلال للعراق، الثانية: ان تحسب حسابا خاصا للنجف والشيعة ومراجعهم.

منحت بريطانيا الاستقلال السوري للعراق سنة ١٩٢٢، اي بعد مرور احدى عشرة سنة من ثورة العشرين وعزا

ناجي شوكت هذا الاستقلال الى ثورة العشرين قال (في اعتقادنا انه لولا هذه الثورة العراقية الكبرى (١٩٢٠) لما استطاع العراق ان يحصل حتى ولا على شبه استقلال ولا كان من الممكن ان يدخل في عصبة الامم الى جانب الدول العظمى فالعراق أصبح اول دولة عربية مستقلة واحتل مقامه بين دول العالم في الوقت الذي لم يكن هناك اي بلد عربي يحلم بالاستقلال (مذكرات ناجي شوكت ٦).

■ وقالت مسز بيل السكرتيرة الشرقية لديوان المعتمد السامي البريطاني في العراق:

(اما انا شخصيا فابتهج وافرح ان ارى الشيعة الاغراب يقعون في مأزق حرج فانهم من أصعب الناس مراسا وعنادا في البلاد) (النقيسي ١٩٩).

ليس من شك ان بريطانيا كانت قد وضعت في حسابها ان تطوق الشيعة ومرجعيتهم جزاء مقاومتهم لهم وان تربى جيلا جديدا يؤمن بالدولة العراقية الحديثة ذات النهج العلماني السني الموالي للغرب، ولا يمت الى المرجعية بصلة فكانت المدرسة هي الحاضنة لتحقيق ذلك وانتدبت لهذه المهمة ساطع الحصري وباشر عمله في اب ١٩٢١م فقد سعى لربط الناشئة بالتاريخ الاوربي (والزم الطالب العراقي بأن يدرس في جميع مراحل الدارسة التاريخ الاوروبي اربعة اضعاف ما يدرسه الطالب البريطاني من تاريخه وتاريخ اوروبا). وصارت الاجيال التي خرجتها المدارس مادة اساسية لموظفي الدولة من جهة والمنتخبين الى الاحزاب الوطنية والقومية والشيوعية المعارضة للنظام الملكي وقد ظهرت اثارها في العقود التي تلت الملكية فان الشارع العراقي ايام عبد الكريم قاسم للحزب الشيوعي وصارت مؤسسة الحكم والشارع ايام عبد السلام عارف للقوميين والبعثيين وفي انقلاب ١٩٦٨م الى ٩/٤/٢٠٠٣م كانت بيد حزب البعث.

قام رشيد الكيلاني بانقلاب على حكومة ولي العهد عبد الاله في ١/٤/١٩٤١م وأسقطوا حكومة ياسين الهاشمي وشكل حكومة انقاذ وطني اiban الحرب العالمية الثانية، فقامت المملكة المتحدة بإنزال قوات اضافية الى البصرة في ٢٩/٤/١٩٤١م.

وفي ٣/٥/١٩٤١م (٦/٤/١٣٦٠هـ) صدرت عن السيد ابي الحسن الاصفهاني، والشيخ عبد الكريم الجزائري ايدا فيها حركة الكيلاني حفظا لبيضة الاسلام ودفعوا باتجاه ان تكون حكومة اسلامية وحث العراقيين على دعمها.

وسقطت بغداد على ايدي القوات البريطانية في ٢٧/٥/١٩٤١م وهرب رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني والعقداء الاربعة صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب وعدد من مؤيديهم خلسة من بغداد ثم اللجوء الى طهران ثم الى السعودية بقى فيها الى ١٩٥٨م. وفي اليوم نفسه حلفت خمسون طائفة بريطانية فوق بغداد وقصفت بعض المناطق بشدة. وكان قبل سقوط بغداد قد تخلص وزير الدفاع ناجي شوكت واصطحب زوجة الكيلاني وهروبه الى تركيا وهو يدل على التنسيق المسبق للهرب مع الكيلاني. وليس من البعيد ان الكيلاني كان قد قام بهذا العمل بالاتفاق مع الانكليز لإعادة الاحتلال البريطاني. اما فتوى المرجعية بالجهاد فهي استصحاب للفتوى السابقة بقتال الأنكليز الغزاة.

وعاد الوصي الى موقعه وتم قطع العلاقة مع المانيا وايطاليا ودخل العراق الحرب العالمية الثانية الى جانب بريطانيا وحلفائها.

واكد هذا الموقف العداوة بين الشيعة والانكليز. وكرست بريطانيا سياستها عبر ادواتها في محاصرة الشيعة. واستمر الحكم الملكي الهاشمي الى ١٩٥٨ حيث اطاح عبد الكريم قاسم به وانسحب العراق من حلف بغداد وأقام علاقة ودية مع الاتحاد السوفيتي وانفرد في عهده عن الجامعة العربية.

المصدر: مركز فجر عاشوراء الثقافي